

الفصل الخامس

خاتمة

ليس لعلم من الأثر في الأخلاق ما لعلم النفس . لأنه هو العلم الوحيد الذي يعالج النفس البشرية من وجهة أثرها في البيئة والجماعة وأثر هذه فيها . فالقوانين التي توصل إليها هذا العلم حديثاً هي من أبعاد القوانين غوراً في التأثير في حياة الأفراد والجماعات وسلوك الأفراد والجماعات . ولسنا نظن أنه باستطاعة كائن من كائن أن يوجه ميول إنسان إلى وجهة معلومة من دون أن يستعين بتلك القوانين سواء أدرك أنه يستعملها أم لم يدرك

وليس يخفى أن علم النفس كباقي العلوم يتوقف الامام به على قدرة الفرد على استقراء الحوادث والوقائع التي تختص بالنفس البشرية ، وترتيب النتائج على هذا الاستقراء ، فهو كباقي العلوم أيضاً مبني على المشاهدة والتجربة واستنباط القوانين التي تنظم هذه المشاهدات والتجارب . وجميع العلوم سواء في هذا الأمر . فكما تقوم على دقة المشاهدة والقدرة على اختبار الظواهر . فالعلم إذن ليس شيئاً سوى تبويب تصرفات الطبيعة وظواهرها وتنسيقها بحيث يتسنى للإنسان أن يؤمن بحدوث أمر معلوم عند توافر بعض العوامل المعلومة ، وذلك لأنه شاهد ذلك الأمر بعينه عندما توافرت تلك العوامل نفسها في جميع الحالات التي عرضت له

مثلاً رأى بعض العلماء بالمشاهدة والتكرار أن للكهربة (electron) مدارين (two orbits) تدور في أحدهما حول النواة (Proton) . ولكن شوهد أيضاً أنه عندما يقترب شعاع من النور إلى الكهرباء فإنها تقفز من مدارها الداخلي إلى الخارجي لتستقبل ذلك الشعاع ، وأنها أيضاً تقفز إلى المدار الداخلي عندما تدفع بذلك الشعاع إلى الأجسام المجاورة لها في الفضاء . وتكررت هذه الحالة ولم يكن لذلك التصرف شذوذاً ما دامت لم تدخل بعض العوامل الأخرى

التي توقعه أو تعطله . وإذن فهذا قانون طبيعي ينتمي الى علم يوثق به ويعتمد عليه وإذن صرنا نعرف سلوك الكهربية في بعض الحالات المعينة . ونستطيع عندما نرسل شعاعاً من النور في الفضاء أن نوقن أن كل كهربية في طريق هذا الشعاع قد غيرت مدارها مرتين

وليس هذا قاصراً على هذا النوع من المشاهدات ، فالفلاح في قرينه ايضاً يستنبط القوانين ويعرف احكامها ويخضع لها . ولم يكن الفلاح ليحتاج الى ارخيميدس ليدله على أن بعض الاجسام تطفو وبعضها ترسب وان كان ارخيميدس استخدم تلك الخاصيات فيما لم يكن القروى يستطيع أن يستخدمها فيه . ثم أن الفلاح ايضاً يتنبأ بالمطر ينهمر لأنه رأى تجمع الغيوم في السماء ووجد بالاختبار انه يعقب هذا التجمع دائماً انهبال المطر . نقول أن هذا الفلاح هو عالم من نوع معلوم ، ولمشاهداته الصادقة قوة القوانين الطبيعية واحكامها ، لابل نذهب الى ابعد من هذا الزعم فنقول أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي بها توصل الانسان الى جميع القوانين العلمية التي تكدست على مر العصور

وقوانين علم النفس هي من هذا النوع . فقد توصل اليها العلماء الاخصائيون بمداومة المشاهدة والاستقراء في طبائع الناس . وليست هي كما يزعم البعض رجماً بالغيب أو ادعاء بمعرفة الطبائع حيث لا يجوز الادعاء . حقا قد يخطئ علماء النفس كما قد اخطأ جميع العلماء في مختلف العلوم وقوانينها وكما لا يزالون يخطئون . فالخطأ والصواب يجوزان على علم النفس كما يجوزان على جميع ما يشاهده الانسان ويستنبطه من الاسباب والنتائج والآراء والنظريات

بعد هذه المقدمة الضرورية نعود الى قوانين علم النفس لنرى ما ينفع منها في تقويم الاخلاق وما لا ينفع . ما وجد بالاختبار أن له اتصالاً بتكوين بعض الميول في الفرد ، وما يختص بنزع بعض الميول الاخرى

وسوف نجد في هذا الفصل أن لعلم النفس القول الفصل في تكوين الاخلاق وأن قوانينه هي من خير ما يساعد المرين على الاضطلاع بهذا الواجب والقوانين التي يمكن استخدامها لهذا الغرض كثيرة جداً . ولكننا سوف نتخير

منها اربعة فقط . وهى اولا قانون الارتباط الشرطى (The law of conditioned reaction) وثانيا قانون الممارسة (The law of exercise) وثالثا قانون العادة (The law of Habit Formation) ورابعا قانون النتيجة (The law of effect) وسوف يدور البحث فى هذا الفصل حول هذه القوانين لاغير . لأننا نجد أن فيها الكفاية لما نحن فيه

ولسنا نوى أن نشرح هذه القوانين بالتطويل ، لأن هذا يتطلب منا الخروج على موضوعنا الى علم النفس . وهذا بالطبع ليس الغرض من هذا الكتاب ، فلهذا العلم كتبه الخاصة ، واما هذا فليس يعنى بشىء سوى الاخلاق

ومع ذلك نحب أن نحيل القارىء على كتب علم النفس ليراجع هذه القوانين الاربعة ليرى لنفسه كيف وصلنا الى مثل النتائج التى أخذنا بها فى هذا الفصل . وبحق لنا اذن أن نزعم أن القارىء لم يلم بكل هذه القوانين وبما يترتب عليها من النتائج وكل ما نستطيعه هنا فى هذا المجال هو أن ندون هذه القوانين من غير تعليق عليها ، ومن دون أن نحاول شرح المقدمات أو التجارب التى أدت الى وضعها والاخذ بها على انها صحيحة

(١) فقانون الارتباط الشرطى هو هذا . اذا كان من طبيعة المؤثر (ا) ان ينتج تلبية معينة هى (ب) فيستطيع اى مؤثر آخر بمفرده مهما كان ان ينتج نفس التلبية اذا سبق المؤثر (ا) عدداً من المرات معينة . مثال ذلك . التيار الكهربائى يحدث فى الحيوان رعشة . فاذا ما سبق هذا التيار فى كل مرة اشارة من يد انسان يحدث انه بعد قليل من الزمن تكفى الاشارة وحدها لجلب الرعشة للحيوان

(٢) اما قانون الممارسة فبسيط وهو . متى تساوت جميع الظروف فان اى مؤثر تصادف وان احدث تلبية معينة يميل فى المستقبل الى احداث نفس التلبية عندما ينفعل . ويميل الارتباط بين المؤثر والتلبية لأن يدوم متى تساوت العوامل الاخرى (٣) وقانون العادة هو هذا متى تكررت الممارسة تصير نظاماً خاصاً قائماً

بنفسه فى جهاز الانسان . وهذا النظام مكون من مؤثر معلوم وتلبية معلومة يصل بينهما ارتباط معلوم . وفى هذه الحالة يشق على الكائن ان يحدث تلبية اخرى

ايا كانت لذلك المؤثر . ومتى تساوت الظروف يظل هذا الجهاز - اى العادة - باقياً ما لم ينتج من وجوده الم للكائن

(٤) ثم ان قانون النتيجة هو هكذا . متى تساوت جميع العوامل الاخرى فان التلية التى تنتج لذة تميل لأن تتكرر وتبقى وتدوم وتكون هى اول ما يحدث عندما يتوفر لها المؤثر . والتلية التى تنتج الما تميل لأن تنحل وتلاشى ولا تعود تكرر

على هذه القوانين الاربعة ينبنى الفصل التالى . ومنها نستمد القضايا التى سنذهب اليها ونأخذ بها فى بناء الاخلاق . ويلاحظ هنا ايضاً اننا نؤمن بصحة هذه القوانين ونقبلها كما نؤمن بصحة القوانين الطبيعية ونقبلها . وذلك لأن علماء النفس يتقبلون هذه القوانين على انها صحيحة . وليس لنا نحن الا ان نذهب مذهبهم ونقتفى اثارهم

والآن نعود الى موضوعنا لنرى أين العلاقة بينه وبين هذا فنقول انه قد مر بنا ان الاخلاق هى ميول اجتماعية . فالانسان الذى له حظ من الاخلاق لا يفعل شيئاً يتعارض مع مصلحة الجماعة كما يفهمها هو . نعم لسنا ننكر ان له مصلحة شخصية وميولاً يسعى لتحقيقها الى أقصى حدود السعى بشرط ان لا تتعارض مصلحة وميوله مع خير الجماعة البشرية بوجه عام . لابل نذهب الى أكثر من ذلك ايغالا فى الفردية فنقول انه مطالب بحكم الفضائل والاخلاق ان يسعى وراء صالحه وميوله . لانه باعتباره فرداً فى الجماعة تتوقف مصلحة الجماعة الى حد كبير على خيره ومصلحته هو

ولكن كيف ينمى الفرد أخلاقه ؟ وكيف تتكون فيه ؟ وما هى العناصر التى تتألف منها ؟ وهل يمكن اكتسابها بأى حال من الاحوال ؟ أم هل ينزل الطفل الى العالم تاماً فى تكوينه الخلقى ؟

ان مثل هذه الاسئلة تطوح بنا فى مهامه الجدل الذى نشب بين العلماء من زمان طويل حول البيئة والطبيعة وأيهما أفعال فى بناء الاخلاق ، وعلى أيهما تتعلق أقدار الفرد . ولسنا بالطبع فى مقام هذا البحث . الا اننا نذهب الى الزعم ان البيئة هى

كل ما يعيننا في هذا المقام . وتعني من حيث ان المرئى يستطيع ان يتحكم فيها الى درجة معلومة

لقد خلق الافراد متساويين فى الطاقات والاستعدادات والامكانيات . متساويين من وجهة ان لكل منهم ما للآخرين من الخلايا المخية والجهازات العصبية والغدد والتراكيب الطبيعية والقدرة على التلييات للمؤثرات المحيطة بهم . فتمى تأثر الفرد فيهم بمؤثر من البيئة استجاب لذلك المؤثر . فهم متشابهون فى ذلك على نوع ما . بالطبع نحن لانكر الفروقات الفردية التى أثبتتها علم النفس . فليس فى العالم اثنان متشابهين من جميع الوجوه على الاطلاق . وحتى التوأم لا يشبه أخاه تمام الشبه . ولكن لنا من التشابه المشترك بين الافراد ما يدعوننا الى ان نقرر ان الانسان مثل أخيه الانسان فى طبيعته واستعداده بصفة عامة

ومن هذه المادة الخام المشتركة تشاد الشخصيات بميولها ورغائبها ، بما أنجب وما تكره ، باتجاهاتها الفكرية والنفسية . فالثريية على هذا ليست سوى صياغة هذه المادة واصطناعها فى وحدة . وهذه هى الشخصية . وخصائص هذه الشخصية التى صيغت من طبيعة الانسان هى الشئ الذى يتحكم فى سلوك الفرد . ففى الاصل تجد ان الانسان مجموعة مكنات تنتظر المؤثرات لتنتلق فى سبيل التحقيق . أو بعبارة أخرى ان الانسان هو استعداد لان يتأثر وينفعل فيتحرك ويفعل . وهذه التلييات بعد ان تنتظم وتعتاد على ان تكون من نوع معلوم وان تسير فى اتجاه معين تصير المادة التى منها تحاك أخلاق الفرد . ولكننا نلاحظ ان التلييات التى تكون لمؤثرات اجتماعية هى وحدها التى يصح ان تكون من الاخلاق . أو بعبارة أخرى ان الاخلاق هى ذلك النوع من التلييات والاستجابات التى تتأثر من الاجتماع وتؤثر فيه

فغريزتا الطعام والتناسل مثلا ليس حتما ان يكون لهما شأن بالاخلاق الا عندما يكون لاحدهما أثر فى النظم الاجتماعية او عندما تمس الاخرين بطريق مباشر او غير مباشر ، لأن الاكل والتناسل ضرورات طبيعية اساسية . ونحن ملزمون ان نستجيب لداعيها متى شرعا فى ان يدفعنا الانسان للعمل . وهذه الاستجابة هى من الاخلاق ، وهى صالحة او طالحة بقدر ما تمس الاخرين او تؤثر فى النظم الاجتماعية

او بعبارة اخرى ان التلييات للدوافع الطبيعية ليست لها علاقة بالاخلاق والفضائل ، ولا يصح ان توصف بالصلاح او بالاطلاح ما دامت لا تمس الاخرين افراداً او جماعات من اى وجه من الوجوه

نرى الآن ان التلييات المختلفة شىء مستجد على الفرد . اى انه لم يكن حاصلًا عليه عندما يولد . وهنا نقطة دقيقة ندعو الى التنبه اليها . لانها تختص بالغرائز وبالجدل الكثير الذى يدور حولها . نقول انه يوجد فرق كبير بين الاستعداد العام للتلييات وبين التلييات المختلفة المتباينة المستقلة احداها عن الاخرى . فالاستعداد العام للانفعال هو شىء طبيعى موروث بحكم الحياة ويستوى فيه النبات والحيوان والانسان . فاستعداد الكائن لان يفعل من مؤثرات البيئة شىء طبيعى موجود فينا من منذ ان وجدت فينا الحياة . واما التلييات الفردية التى تستدعيها مؤثرات خاصة معلومة فهى مكتسبة تتعلمها بالخبرة والمران . مثال ذلك نفرض ان المؤثر فى حالة معلومة هو رؤية اسد طليق فى حديقة الحيوانات . فتلييتنا لهذا المؤثر بالذات هى شىء اكتسابى تعلمناه بالاختبار . وتكون استجابة بعضنا لهذا المؤثر بالجري والهروب . والبعض بتسلىق الاشجار القرية او الدخول الى الدور المجاورة . واما تلييات الاطفال والرضع فتختلف عن هذه كثيراً . فقد يقفون ويتطلعون باعجاب لذلك الحيوان وهو يقترب منهم . فنحن والاطفال فى هذه الحالة لنا استعداد عام للتلييات واما تلييتنا الخاصة — الهروب — فقد اكتسبناها بالخبرة والمران على الجرى والهروب . بينما هم لم يكتسبوا شيئاً من هذا بعد

وعلى هذا نقول ان الانسان لم يولد فى هذا العالم مجهزاً بنوع من التلييات معلوم خلقت لمؤثرات معلومة . كلالم يولد الانسان هكذا . فان الواقع يدل على ان انواع الاستجابات للمؤثرات المختلفة شىء تعلمه الانسان بالخبرة والمران

ثم لنلاحظ شيئاً آخر . وهو ان الارتباط بين المؤثر والتلية لا يجب حتماً ان يكون من نوع معلوم . لان نوع الارتباط يتغير بتغيير البئة التى ينشأ منها الفرد . فتلية انسان ما لمؤثر معين قد تختلف اختلافاً كبيراً عن تلية انسان آخر لنفس المؤثر . فمما يجعل الواحد يجرى ويصيح وبولول ويستغيث ربما يجعل الآخر يضحك

ويسر ويتقدم . ثم يمكن أيضاً تنويع التلييات لمؤثر بذاته في الفرد الواحد . فالمؤثر الذى كان يستدعى الحزن مثلاً قد يصير فيما بعد مستطيعاً ان يستدعى الفرح وهكذا واكثر من ذلك فانه يستطاع ربط اى مؤثر باى استجابة من اى نوع . مثلاً نستطيع بفعل قانون الارتباط الشرطى ان نصل بين مؤثر للغضب والاستجابة بالضحك . او بمعنى آخر نستطيع بفعل هذا القانون ان نجعل الولد يضحك فى كل مرة تثور فيه نائرة الغضب . وعلى هذا يجوز ايضاً ان ترتبط المؤثرات الجنسية بالتلييات الكريمة كالحقد على الجماعة البشرية والكرهية للنظام الاجتماعى ثم الاجرام . او بغير هذه من الامراض الاخلاقية . ثم يجوز من الناحية الاخرى ان يتم الارتباط بين المؤثرات الجنسية وبين الصفات العالية والمحبية ، كالاخلاص للعائلة وحب الزوجة والاطفال والاضطلاع بالمسئوليات نحو هذه جميعاً واحترام النظم الاجتماعية . وعلى اى حال يجب ان يلاحظ ان التلييات التى تتكرر وتعاد مرة بعد اخرى استجابة لمؤثر معين نقول ان مثل هذه التلييات تميل الى الثبوت والبقاء فى جهاز الفرد

قلنا ان اى مؤثر قد يجوز ان ينتج اى تلبية . ومتى انتجها فانه يميل الى انتاج نفس التلبية متى تساوت جميع العوامل . وهذا هو المقصود بالعادة . فالعادة إذن هى اعتياد جهاز الانسان ان يستجيب بطريقة معلومة متى تأثر بمؤثر خاص ومتى استطعنا ان نكون فى انسان ما كمية من العادات الحسنة فقد نجحنا الى حد بعيد فى تكوين اخلاقه . لأنه يصير من طبع الكائن ان يستجيب بتلك الطريقة عنها عندما يتأثر . ويكون من الامور الصعبة عليه ان يضطر لأن يستجيب بطريقة غيرها . وذلك لأن المسالك العصبية والارتباطات بين الخلايا فى المخ وفى الجهاز العصبى عامة تكون قد تكونت ووجدت . وتصير المسألة كلها طبيعية فيريولوجية تقريباً . فيحدث انه عند التأثر بمؤثر خاص يسافر الاحساس به على نفس الخلايا التى سافر عليها من قبل ، ويصل الى تلك المجموعة من خلايا المخ التى اتصل بها سابقاً ، ويرجع الامر للعضلات لتفعل وتتحرك على نفس الخلايا التى سبق وان رجع عليها فى المرات السابقة ، ويصير الموضوع كله من اوله الى آخره امراً طبيعياً متصلاً بالتكوين الطبيعى للفرد . وعند هذا الدور نستطيع ان نقول ان

تكون الفرد واستعداده يتطلب منه أن يفعل هذا أو ذاك في حالة مخصوصة قد يسأل انسان لماذا تتكون تلك الارتباطات في الجهاز العصبي اصلا ؟ ولماذا تميل الى الاستمرار والبقاء بعد أن تتكون ؟ ولماذا لا يمكن أن الارتباط ينحل بعد أن يكون قد وجد في الجهاز وبعد أن يفرغ الفرد من تليته الخاصة ؟ وفي الواقع انه من الممكن أن تنحل بعض الارتباطات بعد أن تكون قد تكونت . فنتجيب بطريقة لا نعود نستجيب بها فيما بعد . ومع أن هذا صحيح إلا انه يجب أن نلاحظ أن الانسان كائن حي يلزمه أن يستجيب بطريقة ما لأن له من الدوافع الطبيعية البيولوجية ما يجعله يستجيب ، لانه لا يستطيع ان يعيش اصلا من دون ان تكون له المقدرة على الانفعال متى تأثر

ثم لا بد من وجود هذه الارتباطات ، لانه بدونها يكون الانسان كسفينة في مهب الريح ومن غير سكان او ربان . فهي لاتدرى اين تذهب . وماذا تفعل ولماذا تفعل وكيف تفعل . فعلى قدرتنا على تكوين هذه الارتباطات بين المؤثرات والتليات يتوقف جميع ما عند الانسان من الاختبارات والذكريات . من الخبرة ومن المران وعليها ايضاً تتوقف قدرته على الاستفادة من الحوادث والارتفاع بما مر عليه في تاريخ حياته . الحق انه لولا تكوين هذه الارتباطات لما استطاع احدنا ان يرفع يده الى فمه بلقمة ، ولم استطاع ان يمشى كما تمشى الناس ، او يجبو على اربع كما تفعل الحيوانات ، او يهرب من الخطر او يتقيه ، لان كل هذه الافعال تتوقف على هذه الحقيقة ، وهي ان الانسان مستطيع ان يفعل جميع هذه الامور لانه فعلها بذاتها مرة او مرات ، وان جهازه العصبي استطاع ان يحتفظ بالمقدرة على اداء تلك التليات يعينها

اذن للانسان القدرة والاستعداد لأن يخزن بعض التليات في جهازه العصبي فيستطيع ان يفعلها ويعود اليها عند ما يشاء ، ويتسنى له ان يستعيد أحداها متى أراد وعلى هذا فنحن نستجيب عندما تتأثر . ولكن بمقدار ما نحصل عليه من اللذة او الألم من استجابتنا ، بهذا المقدار نفسه تميل الى تلك الاستجابة بذاتها او الى تجنبها ففي تكويننا البيولوجي ما يجعلنا تميل الى تلك الاستجابات التي تنتج لنا اللذة والسرور وأن نتجنب تلك التي تسبب لنا الألم

وبعبارة أخرى نحن لانفعل بالمؤثر فقط بل بالاستجابة أيضاً، فان هذه بدورها
تصير مؤثراً. فمثلاً نحن نستجيب بطريقة خاصة، فنتج لنا لذة وسرور فنسبل
بالطبع الى ان نستجيب بنفس الطريقة متى تأثرنا بمؤثرها. وكلما اعدنا هذه الاستجابة
كلما تم الارتباط بينها وبين المؤثر الى ان تصير عادة عندنا. فالدافع لنا اذن هو
ان ننشط متى تأثرنا. وان نتج من ذلك النشاط شيء من اللذة والسرور يسهل
علينا ان ننشط بالطريقة ذاتها

ومع ذلك يجب ان نلاحظ أيضاً في هذا المقام انه بعد ان يتم الارتباط بين
المؤثر والفعل، وبعد ان يصير هذا فينا عادة فنسدرج على هذا ونستجيب حتى
وان لم نتج لنا اللذة المعتادة بشرط ان لاينتج عن هذا الفعل شيء من الألم. ففي
هذه الحالة اذن يجد المؤثر الطريق مفتوحاً امامه دائماً ابداً، فيحدث الانفعال
المطلوب من الجسم من غير ان يكون لأرادتنا دخل في الموضوع. فاذا ما لم يجد له
عائقاً من الارادة او من اى شيء آخر يستطيع ان يتصل بالعضلات بطريقة آلية
وهذه تقوم بالأمر المطلوب كالتحدث والحركة والفعل. وهذا ما يقصده علماء
النفس بالعادة. فهى مجموع تلك العملية من مؤثر واستجابة وارتباط بينها. وهذا
الترتيب يميل الى البقاء والاستمرار من ذاته

فوظيفة البيت والمدرسة اذن ان يهتما للصلة بين المؤثر اياً كان وبين الاستجابة
المرغوبة. يجب على هذين المعهدين ان يساعدا على هذا الاتصال أولاً وان يعيناه في
محاولته الاستمرار والبقاء ثانياً. ولسنا نكرر ان هذا امر شاق ولكنه بالذات ما يطلب
اليهما ان يفعلاه باى طريقة من الطرق

ومفتاح هذه الوظيفة هو في اللذة والألم — الألم الذى ينتج من فعل الامر
الردىء واللذة التى تنتج عن الفعل الحسن وهذان الامران هما اذن العاملان
المهمان فى تكوين الاخلاق فيجب التنبه لهما كل التنبه، والاهتمام لحسن استعمالهما
ويجب أن لا يستعملا فى غير موضعهما، ويتحتم أن يعالجا بعقل وروية. وهذا
هو لب اللباب فى الموضوع. فاللذة والألم هما الطريق الوحيد لتأديب الاطفال
وتربيتهم. وهما فى الواقع كل ما يستعمله الآباء — المفكرين منهم وغير المفكرين

ولكن الصعوبة في هذا الامر قائمة في استعمال هذين الدافعين للفعل والحركة والسعى . لأنه عندما يفشل المربون في غرس الاخلاق الفاضلة في اولادهم ليس من شك في انهم لم يحسنوا استعمال اللذة والالم في معالجتهم لحالة الطفل . ولهذا اسباب كثيرة . منها أن الالم الذي كان يجب أن يرتبط بالفعل القبيح مثلا لا بد وأن يكون قد ارتبط بشيء آخر خلاف هذا الفعل . وقد تخفى هذه الحالة على المربي . فقد يجوز أن يتم الارتباط بين المؤثر واستجابة أخرى لم يكن المربي مقدرًا لها وجوداً . قد يكره الولد المربي أو ميوله عوضاً عن أن يكره الفعل القبيح نفسه وحتى ان تم الارتباط بين الالم والفعل القبيح نفسه فقد يفعل الولد الامر القبيح اذا كانت اللذة التي ينتجها تربو على آلامه . ولاحد هذه الاسباب أوها جميعاً أو لغيرها مما لم يذكر هنا يعود السبب في أن الطفل ما يزال يرتكب الافعال الشائنة

اما اللذة والسرور فهي الشيء الذي يساعد العادات والميول على البقاء والاستمرار فما كان منها ملذاً يبقى وما لم يكن كذلك يذهب . وبالطبع لا يقصد باللذة والسرور هنا ما يعود منهما على الآباء والمربين ، لأن هذا النوع قد لا يكون مما يسر الاطفال أو يلذ لهم . وفي الاغلب انه حينما يفشل المربون يكون السبب في ذلك عائداً الى جهلهم باستعمال هذين الدافعين حق استعمالهما . فاللذة كالالم يجب أن لا تتصل بشيء سوى بالفعل أو بالاستجابة ذاتها . ويجب أن تنقطع الصلة بينهما وبين كل ما عدا تلك الاستجابة ، لأنه ان حصل شيء من ذلك فقد تشوش الامر واختلط على الجهاز والخلايا

يجب اذن أن يكون الارتباط بين المؤثر والتلبية مما يجلب اللذة للطفل . اي انه يجب أن يكون موجبا في عمله بمعنى انه يجب أن لا يكون على الحياد كأن يكون خالياً من اللذة والالم على السواء

ولكن بعض علماء النفس يذهبون الى أن اللذة والالم هما نتيجة لحركات بعض الغدد الصماء ، أو نتيجة لافرازات بعض الغدد . فنشاط هذه الغدد وافرازاتها اذن هو النتيجة لسلوك الفرد . وهذا الشعور الخفي الذي ينتاب الانسان عندما ينشط

والذى يصحب نشاطه هو حالة النفس الداخلية التى تؤثر فى مسلك الفرد . هذا الشعور أو حركات الغدد الصماء هو ما نسميه بالعواطف

وبعبارة اخرى يستمر النشاط ويبقى ويصير عادة عندما يستطيع ايقاظ عواطف الطفل ووجدانه وعلى هذا فالاصل فى نشاط الطفل وفعاله هو عواطفه وشعوره . هذا ما لا يستطيع انسان أن ينكره ، خصوصا فى امر الاطفال ، حيث انهم مدفوعون بشعورهم وعواطفهم الى الفعل والنشاط والحركة

وعلى هذا نخطئ الآباء والمربون كثيراً اذ يطلبون الى اولادهم أن يفعلوا هذا أو ذاك لأن المبادئ تتطلب هذا الفعل أو ذاك . فالمبادئ فى نظر الاطفال أمور مجردة لا معنى لها . وهى اولى بعلم ما وراء الطبيعة أو بالنظريات الفلسفية . فبدأ الحق مثلا ليس من الامور التى تدفع الاطفال الى قول الحق والصدق . لأن المبادئ أمور بعيدة ليست تصلح أن تكون من العوامل التى تدفع الاطفال الى النشاط . فالحق فى ذاته لا يتحرك له الطفل الا بقدر ما يناله من لذة أو ألم عندما يقول الحق . واللذة والألم هما فى معظم الحالات الدافع الوحيد له على قول الصدق أو تجنبه . أو بعبارة أخرى أن الحق الذى يتجرد من العاطفة والشعور ليس حافزاً للطفل على أن يتبعه . ويحسن بنا أن لا ننسى فى هذا المقام أن اللذة هى فى الواقع عاطفة وشعور

لسنا ننكر الاخطار التى تتعرض لها المبادئ اذا هى بنيت على العاطفة والشعور لان اقل ما يقال فى ذلك ان الطفل يعتاد على ان تتحكم فيه العاطفة والشعور اذا هو لم يتعود ان يتحرك الا بموجبهما . وعلى هذا يحسن بالآباء ان يحتاطوا للامر لكى لا يبنوا حياة الطفل كلها على هذا النوع من العوامل

وعلى اى حال يجب ان نذكر ان منبع الافعال فى الطفل هو شعوره وعواطفه . وليس مما يعيب الطفل انه يتبع الحق لانه يحبه او يتعشقه ، او لانه يشعر بلذة وسرور عندما يستجيب لداعى الحق . ومن واجب التربية الرشيدة ان تصل ما بين الحق والعواطف والشعور فى الصبي ، وهذا هو الدور الهام الذى تستطيع اللذة ان تلعبه

الخلاصة

الاستعداد للتلبية امر موروث ، لاننا نهبط الى هذا العالم وفي حيازتنا القدرة والنشاط ، والبيئة تقدم لنا المؤثرات من عندها . ونحن ننفعل بهذه المؤثرات . والتلبية التي تنتج لذة تميل لأن تبقى وتدوم وان تكون لنفسها جهازاً خاصاً في اعصابنا . وتستطيع ان تنفعل من نفسها من دون ان نستعمل ارادتنا في ذلك . وعلى قدر ما لها من اللذة تميل الى استخدامها مرات اخرى وان نساعدنا بارادتنا على البقاء . ولكن اللذة والالم ليسا شيئاً سوى العاطفة والشعور . واذن فيحسن بنا ان نسعى لأن نوقظ عواطف الطفل وشعوره في بعض احوال النشاط حتى يبقى ذلك النشاط المرغوب فيه ويدوم . ومتى دام هذا النشاط وتكرر صار عادة . ومن مجموع عادات الطفل وميوله تتكون اخلاقه . وهذه ايضا تستمر وتبقى بنسبة اللذة التي يحصل عليها الفرد منها . وعندما تقوى الملكات العاقلة في الصبي وتفتح نستطيع ان نستغنى عن العاطفة والشعور اللذين اتبعناهما لبث الاخلاق في الطفل . نستطيع ان نستغنى عنهما من دون ان يضر هذا الاستغناء بفضائل الصبي وعند ذلك يكون في امكان الصبي ان يعمل طبقاً لمقتضيات الاخلاق والفضائل بغض النظر عما يناله من الاذى في سبيلها



المراجع التي استعان بها المؤلف

1. Adler, Felix The Moral Instruction of Children.
2. Beach, W. G. An Introduction To Sociology And So-
cial Problems.
3. Bradley, F. H. Ethical Studies
4. Canfield, Dorothy The Home Maker
5. Chapman and Counts Principles of Education.
6. Coe, G. A. What Ails Our Youth.
7. Coe, G. A. Education in Religion And Morals.
8. Coe, G. A. A Social Theory of Religious Education.
9. Dewey, John Democracy And Education.
10. Dewey, John Human Nature and Conduct.
11. Dewey, John Moral Principles in Education.
12. Dewey, John How we Think.
13. Dewey, John The Influence of Darwin on Philosophy.
14. Dewey and Tufts. Ethics.
15. Dorsey, G. A. Why we Behave Like Human Beings.
16. Engleman, J. O. Moral Education in School and Home.
17. Gosse, Edmund Wm. Father and Son.
18. Hadfield, J. A. Psychology and Morals.
19. Hartshorne and May Testing The Knowledge of Right and
Wrong.
20. Herbart, J. F. Science of Education.
21. Hobhouse, L. T. The Rational Good.
22. Holmes, Arthur Principles of Character Making.

23. James, William Talks to Teachers on Psychology and To Students on Some of Life's Ideals.
24. James, William The Will to Believe.
25. Jones, Ernest Papers on Psychoanalysis.
26. Jones, Rufus M. Finding The Trail of Life.
27. Jung, C. G. Analytical Psychology—Collected Papers on.
28. Kilpatrick, W. H. Source Book in The Philosophy of Education.
29. Kilpatrick, W. H. Foundations of Method.
30. Liber, Dr. Benzion The Child and The Home.
31. Lindsey, Judge B. B. The Revolt of Modern Youth.
32. Lyttelton, Edward The Corner Stone of Education.
33. Mac Cunn, John The Making of Character.
34. Mason, Max Intelligent Parenthood—Proceedings of The Mid—West Conference.
35. Murchison, Carl Psychologies of 1925.
36. Ogden, C. K. The Meaning of Psychology.
37. Overstreet, H. A. Influencing Human Behaviour.
38. Pierce, Edgar The Philosophy of Character.
39. Poffenberger, A. T. Applied Psychology—Its Principles and Methods.
40. Pratt, J. B. The Religious Consciousness.
41. Boback, A. A. The Psychology of Character.
42. Robinson, J. H. The Mind in The Making.
43. Russell, Bertrand Education and The Good Life.
44. Russell, Bertrand What I Believe.
45. Shand, A. F. The Foundations of Character.
46. Sharp, F. C. Education for Character.
47. Taylor, A. E. The Problem of Conduct.

48. Thomas, Wm. I. Sex and Society.
49. Waters, Meriam Van. Youth in Conflict.
50. Watson, J. B. Psychology From The Standpoint of A Behaviorist
51. Watson, J. B. Behaviorism.
52. Weeks, M. H. National Congress of Mothers—Parents and Their Problems.
53. Weigle, L. A. The Training of Children in The Christian Family
54. Woodworth, R. S. Dynamic Psychology.
55. Yerkes, Robert M. Almost Human.
56. الأخلاق، للاستاذ أحمد أمين

